

التربية الإسلامية - علم القلوب - الدرس ( ٠٢ - ٥٤ ) : رحمة الله.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٢-٠٨

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

#### هذه هي الدنيا :

أيها الأخوة الكرام، البارحة: كان الحديث حول الحكمة التي حينما يؤتاها الإنسان من قبل الله عز وجل، فقد أوتي خيراً كثيراً، وذكرت بالمقابل: أن الدنيا بكل ما فيها من متع، وصفها الله بأنها متاع قليل:

#### (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)

[سورة النساء الآية: ٧٧]

(أَرْضَيْمٌ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)

[سورة التوبة الآية: ٣٨]

#### ما الحقائق التي يمكن أن نستنبطها من هذه الآيات؟ :

#### ١-رحمة الله هي الجنة :

أيها الأخوة، تطرقت البارحة إلى عطاء آخر، لا يقل عن الحكمة: إنه رحمة الله عز وجل، وقد رغبت أن أتعرف إلى الآيات الكريمة، التي تتحدث عن رحمة الله، فهناك آيات كثيرة، لكن يستنبط من هذه الآيات حقائق .

الحقيقة الأولى: يقول الله عز وجل:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ)

[سورة البقرة الآية: ٢١٨]

معنى ذلك: أن الإنسان الذي يؤمن، ويستقيم، ويجاهد في سبيل الله نفسه وهواه، إنما يرجو رحمة الله؛ المؤمن يرجو رحمة الله، والكافر يرجو الدنيا؛ يرجو مالها، يرجو نساءها، يرجو سمعتها.... فالإنسان عليه أن يتبصر، هل يرجو رحمة الله من عمله؟ غير المؤمن يبحث عن مصلحته، يبحث عن شهوته، يبحث عن لذته، يبحث عن مكاسب مادية، بينما المؤمن يرجو رحمة الله، هذا هو الفرق الجوهرى، رحمة الله هي الجنة، قال تعالى:

## (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

[سورة آل عمران الآية: ١٠٧]

الحقيقة: من المعاني الجامعة، المانعة، الواسعة، الشاملة، هي رحمة الله عز وجل، هي الجنة، الهدف من الإيمان، والعمل الصالح، والمعاملات، والأخلاق، وما إلى ذلك، هو أن المؤمن يرجو رحمة الله، وصل للجنة، الجنة: هذه رحمة الله عز وجل.

### ٢- مكارم الأخلاق سببها رحمة الله :

أيها الأخوة، كل مكارم الأخلاق، مجموعة في رحمة الله:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

إذاً: هي السبب، وهي الهدف، وهي المصير، مكارم الأخلاق سببها:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

اللين، واللطف، والرحمة، والشفقة، والعطف، بسبب ما استقر في قلب رسول الله من رحمة، من خلال اتصاله بالله، فهي السبب، هي الهدف:

(يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ)

[سورة البقرة الآية: ٢١٨]

هي المصير:

(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

[سورة آل عمران الآية: ١٠٧]

هي الأمل:

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقُضِيَ لَهُمْ نِجَاتُ الْأَمَلِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)

[سورة النساء الآية: ١٧٥]

### ٣- الباعث الحقيقي لكل معالجة هي رحمة الله

أيها الأخوة، ما تشاهد في الدنيا؛ من مصائب، ومن كوارث، ومن فيضانات، ومن زلازل، ومن حروب أهلية، الشيء الذي لا يُحتمل، يُفسر برحمة الله:

(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)

[سورة الأنعام الآية: ١٤٧]

تقتضي رحمة الله عز وجل: أن يسوق هذا المجرم إلى الجنة، أن يسوقه إلى الهداية، أن يسوقه إلى التعريف بمهمته في الحياة.

لو أن الإنسان خلق ليكفر، أو خلق كافراً، لا يوجد داع لكي يعذبه الله:  
(وَلَوْ أَنَّا كُنَّا نَسْتَأْذِنُ الْوَهَّابِينَ  
لَقُلْنَا لَوْلَا أَن يَقُولَ النَّاسُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُفْهَاءً مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ  
عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ)

[سورة الزخرف الآية: ٣٣]

لو أن الإنسان مخلوق لجهنم، أو لم يكلف بالهداية، لا يوجد داع أن يكون مع الكفر، هناك تعذيب.  
الآن: هذه الرحمة التي هي السبب، والهدف، والمصير، والباعث لكل معالجة .

#### ٤- الرحمة ثمنها الإحسان :

يقول الله عز وجل:

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)  
[سورة الأعراف الآية: ٥٦]  
(إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)

[سورة الأعراف الآية: ٥٦]

هذه الرحمة ثمنها الإحسان:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

[سورة الكهف الآية: ١١٠]

#### عطاء الله هي رحمة الله :

أيها الأخوة، إن أردت رحمة الله، هذا العطاء المطلق، والحقيقة: لو دقت بالتفاصيل، لوجدت رحمة الله في كل شيء، تعني الشيء المادي، تعني الصحة، تعني السلامة، تعني الطمأنينة، تعني الثقة، تعني الراحة، تعني السعادة، تعني أن يكون القبر روضة من رياض الجنة، تعني الجنة .  
فالعطاء الجامع، المانع، الشامل، الواسع، أو الأصح أن نقول: مطلق، عطاء الله هي رحمة الله .

#### من معاني الرحمة :

من معاني الرحمة قال:

(وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهُمُ)

[سورة يونس الآية: ٢١]

معناها: المطر رحمة، الجفاف ضرراً، المرض ضراء، الصحة رحمة، الفقر الشديد ضراء، الكفاية رحمة، الخلافات الزوجية ضراء، السعادة الزوجية رحمة، الأولاد المشاكسون ضراء، الأولاد الصالحون رحمة، هذا معنى آخر:

(وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَنَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ)

[سورة يونس الآية: ٢١]

الآن:

(وَلَكِنْ أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُ كَفُورٌ)

[سورة هود الآية: ٩]

معنى ذلك: كل شيء مريح، رحمة الله كل شيء مسعد، رحمة الله كل شيء يسر لك أمرك (رحمة).

الأولى: جاءته رحمة من بعد ضراء، الثانية: أدقنا الإنسان منا رحمة، ثم نزعناها منه، يعني: السلب بعد العطاء، المرض بعد الصحة، الفقر بعد الغنى، ممكن الغنى بعد الفقر، لكن الثاني أصعب: إنسان كان فقيراً فاغتنى، أما كان غنياً فافتقر، كان مريضاً فشفي، لما كان في صحة طيبة ثم وقع في مرض شديد، مؤمن بين أناس شاردين، مؤمن له يدان، وله رأس، وله أرجل، ويأكل ويشرب كأى إنسان آخر، طيب أين عطاء الله؟ قال:

(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)

[سورة هود الآية: ٢٨]

قد لا تُرى رحمة الله بالعين، شخص مؤمن يشبهه أي إنسان، قد يكون شكله أقل مما ينبغي؛ ليس عنده الجمال الزائد في شكله -مثلاً-، في دخله، في بيته، في أولاده، لكن باستقامته، واتصاله بالله عز وجل، في قلبه رحمة، وسعادة، وطمأنينة، لو وزعت على أهل بلد لكفتهم:

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)

[سورة هود الآية: ٢٨]

أحياناً: تجد بيتاً عادياً، لكنه محفوف برحمة الله:

(أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)

[سورة هود الآية: ٧٣]

إذا الله عز وجل أحاط أسرة برحمته، فالأسرة موفقة، متفاهمة، بدخل محدود، الله يبارك لها في دخلها، يبارك لها في وقتها، يبارك لها في حاجاتها، والأمور كلها ميسرة، يبارك لها في عملها الصالح، هذا الذي لا يعياً برحمة الله، هذا ضال أشد الضلال:

## (وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِنَّا الضَّالُّونَ)

[سورة الحجر الآية: ٥٦]

لا يرجو رحمة الله، يقنط من رحمة الله.

قال تعالى:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[سورة البقرة الآية: ٢١٨]

هؤلاء الذين لا يرجون رحمة الله، هم الضالون.

### ما هو المطلوب منك؟ :

أيها الأخوة، حينما تُضطر من أجل أن تنال رحمة الله؛ أن تعاكس من حولك، أو أن تعاكس أقرب الناس إليك، قال: أنت مكلف مع هذا الهدف النبيل، والوسيلة المزعجة، أن تكون ليناً:

(وَأَمَّا تُعْرَضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا)

[سورة الإسراء الآية: ٢٨]

يعني: وأنت في طلب رجاء، رحمة الله ينبغي أن تكون ليناً مع من حولك.

### هذا ما أراده الله :

أيها الأخوة، أحياناً: الإنسان يؤمن، يستقيم، يكون قاسياً مع والدته، قاسياً مع والده، قسوة لا مبرر لها، فمن أجل رحمة الله، يقف موقفاً قاسياً، هذا ما أراده الله عز وجل، حتى وأنت ترجو رحمة الله؛ أن تكون معتدلاً، أن تكون ليناً، وأن ترعى من حولك:

(ادْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)

[سورة طه الآية: ٤٣]

(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)

[سورة طه الآية: ٤٤]

### هذه ما تتمثلها رحمة الله :

في شيء آخر: قال:

(قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا)

[سورة الإسراء الآية: ١٠٠]

الأمطار، النباتات، هذه الأساسيات في حياة الإنسان؛ الهواء، والنبات، والماء، والطعام، والشراب، والأطيار، والأسماك.....:

(إِدْ أَوْى الْفَنِيَّةِ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)

[سورة الكهف الآية: ١٠]

(آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)

[سورة الكهف الآية: ١٠]

هذا الدعاء الأساسي، الأهم:

**((اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين))**

[أخرجه أبو داود في سننه]

سيدنا الخضر، هذا الذي وردت قصته في القرآن الكريم، قال:

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)

[سورة الكهف الآية: ٦٥]

والإنسان بأكمله، بكل ما عنده، بوجوده، بإمداده، برشاده، هو كله كلمة واحدة. قال:

(ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا)

[سورة مريم الآية: ٢]

يعني: رحمة الله تتمثل بالإيجاد، والإمداد، والهدى، والرشاد.

## خاتمة القول :

أيها الأخوة، آيات كثيرة جداً من رحمة الله، لكنه موضوع مهم: أن ترى رحمة الله هي كل شيء، وأن تسعى إليها، وأن ترجوها، وأن تكون هي المصير، وهي الهدف، وهي السعادة، وهي الشيء الذي يتميز به المؤمنون، ورحمة الله تأتي من طاعته، وتأتي من الإحسان إلى خلقه، فلما كنت أكثر إحساناً للخلق، كنت أقرب إلى رحمة الله.

**والحمد لله رب العالمين**